جامعة المولى إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس

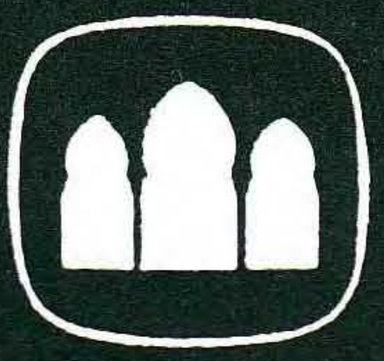

اللسانيات واللغة العربية
بين النظرية والتطبيق

4
سلسلة الندوات

1992

جامعة المولى إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس

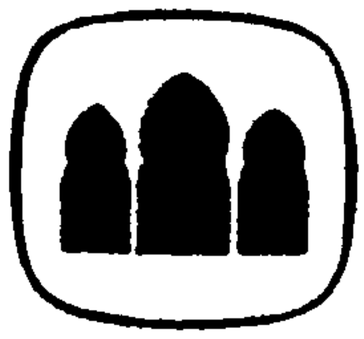

اللسانيات العربية
بين النظرية والتطبيق

سلسلة الندوات
4

الجملة في النموذج الوظيفي البنيوي

أمينة فنـــان
كلية الآداب - مكناس

ملخص :

يهدف هذا البحث الى عرض كيفية تحليل النظرية الوظيفية للجملة وتطبيق مبادئ هذا النموذج على الجملة العربية ، وباعتبار المسند مركز التنظيملتركيبي للجملة والمسند إليه العنصر اللازم للمركب الاسنادي الفعلي تم استنتاج ما يلي :

- الملفوظ الادنى هو الوحدة الصغري للدلالة المكونة من العنصرين السابقين .وهذا الملفوظ يتمتع باستقلال تركيبي في تكوين إرسالية مقبولة في العمليةالتواصلية .

- التوسع هو كل عنصر أضيف الى هذا الملفوظ دون أن يغير شيئا في العلاقات المتبادلة بين عناصره الاصلية أو في وظائفها ، وهو أنواع : توسع مرجعي أولي ، وتوسع مباشر ، وتوسع غير مباشر .

1 - لماذا دراسة الجملة ؟

تعود أسباب اختيار دراسة الجملة لاعتبارات عدة نذكر منها :

أولا : تشكل اللغة بالدرجة الأولى أداة تواصل بين البشر ، لذلك لابد من التركيز على ملاحظتها في عملها ووصفه بكل دقة ، وعلى اللساني بالخصوص أن يفسر كيف تحلل كل لغة خبرة الإنسان إلى وحدات حاملة للمعنى وكيف تستفيد من الإمكانات التي تتوفر عليها

أعضاء النطق .

ثانيا : يتواصل متكلمو، لغة معينة فيما بينهم بسهولة ، وهذا راجع إلى أن كل منهم يمتلك ويستخدم ، في البيئة اللغوية نفسها ، نسقا واحدا من القواعد مما يتيح له أن يتواصل بسهولة كبيرة ، أي يستقبل الرسائل الكلامية ويحللها ويجيب عنها .

وإذا كان التواصل متعدد القنوات ، ومنه ما هو كلامي ومنه ما هو غير كلامي ، فإن الباحثين ركزوا جهودهم سابقا وحاليا على الاهتمام ، بشكل أساسي ، بالجوانب الكلامية المتمثلة في الجمل باعتبارها الشكل التواصلي الأكثر تداولا . وتعتبر الجملة ، كمجموعة من الوحدات اللغوية ، عموما نوعا من أنواع التعبير الذي يؤديه المتكلم بشكل واسع . إن التحدث يتم غالبا عبر استخدام هذا النوع اللغوي التعبيري اللفظي سعيا بواسطته إلى تحقيق التفاهم والتواصل .

ثالثا : يدور علم التركيب حول الجملة ومكوناتها الأساسية والتكميلية ، وقد استأثر موضوعها بحيز واسع من اهتمامات قدامى اللغويين العرب ، فشغلوا بأمورها وتقصوا دقائقها وأبرزوا خصائصها ، فأول ما بدأ به سيبويه الدراسة التركيبية في كتابه هو باب المسند والمسند إليه " وهما ما لا يغني أحدهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا . " (1)

وتطرق المبرد لدراسة الجملة بالحديث عن الإسناد بمعناه النحوي في كتابه المقتضب حيث يقول :" وإنما كان الفاعل رفعا لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت..." (2).

كما تناولت المدارس والنظريات اللسانية دراسة التركيب من باب دراسة الجملة وهكذا صرح (Tesnière)منذ السطور الأولى في كتابه (3) أن موضوع التركيب البنيوي هو دراسة الجملة مشيرا في الوقت ذاته إلى أن اللسانيين الألمان لما أرادوا ترجمة كلمة تركيب (Syntaxe)إلى لغتهم ، لم يجدوا مصطلحا أحسن من المعادل (Satzlehre)الذي يعني " علم الجملة". كما أن النظرية التحويلية التوليدية أعطت للتركيب مكانة مركزية وربطته أساسا بتحليل جمل اللغة ، ولذلك اعتبر هذا النحو نحوا جمليا بالدرجة الأولى ، مهمته هي حصر ووصف نظام القواعد التي تسمح بانتاج مجموعة لانهائية من جمل اللغة . وتركيز التوليدية التحويلية على دراسة الجملة جلب انتباه الدارسين فانكبوا على دراستها وتحليلها الشيء الذي أدى إلى إغفال قراءة المساهمات القيمة للنموذج الوظيفي في هذا المجال ، علما بأن مفهوم التحويل المرتبط بالنحو التوليدي فتح ويفتح مجالا غير مباشر لتساول أكثر صرامة

حول مفهوم الجملة . ونظرا لضيق المكان ، فإن البحث الحالي لن يسعى إلى بيان الأسس الكاملة للمنهج الوظيفي ونظرته إلى تفسير اللغة وإنما سيتولى عرض كيفية تحليل النظرية الوظيفية للجملة مع الحرص على تطبيق عناصر هذا التحليل على الجملة العربية التي لا زالت في نظرنا تحتاج إلى مزيد من التأمل في إطار لساني حديث .

1 - 2 -إشكالية المصطلح

تعود الإشكالات التي تتصل بالجملة في اللسانيات المعاصرة في جانب منها إلى تعدد المصطلحات المرتبطة بهذا المفهوم . فالجملة في النحو العربي تطلق في آن واحد على التراكيب التي يتوفر فيها شرط الاستقلال وعلى التي لا يتوفر فيها هذا الشرط وذلك ما يلاحظ عندما نجد مثلا جملة شرط وجملة موصولة واقعة فاعلا ، على أنه يمكن اختزال هذا التفريع في جملة بسيطة وجملة مركبة ، ونفس الشأن بالنسبة للغات أخرى كالفرنسية أو الانجليزية حيث تستعمل مفردات متقلبة ومتنوعةللدلالة على هذا المفهوم فنجد مثلا (proposition) و(énoncé) و (syntagme) ، الخ . بل إن بعض اللسانيين المعاصرين يستعملون كلمة (énoncé) "ملفوظ " للدلالة على أي جزء من أجزاء الخطاب الاكثر شساعة مما يتيح لهم عدم كشف مواقفهم إزاء طبيعة الجملة ، يقول جاسبرسن (Jespersen) (4) مبررا استعماله لمصطلح énoncé : " لقد اخترت استعمال هذا المفهوم ، في تعريف الجملة ، لانني وجدته أكثر تواترا من غيره ".

2 - الجملة والاستقلال التركيبي :

قد يبدو أن لكل متكلم دراية بجمل لغته وحدودها ، ومع ذلك عندما نبحث عن إعطاء تعريف للجملة فإننا ندرك أنه ليس سهلا العثور على معايير تسمح بإقامة تمييز واضح بين الجملة وغير الجملة ، وإذا كانت طريقة كتابة بعض اللغات تساعد على تعيين حدود الجملة كاستعمال النقط والفواصل والحروف المكبرة ، فإن هذه الطريقة لا توافق بالضرورة تقسيم الخطاب إلى جمل . لذلك ارتأينا ، في إطار النموذج الوظيفي ، اعتماد الأسس العميقةالتي بلورها هذا النموذج لبيان حدود الجملة . وأهم هذه الأسس مبدأ الاستقلال التركيب (autonomie

syntaxique) وعدم ورود الملفوظ عنصرا من عناصر مركب أكبر .

من بين التعريفات الشكلية الهامة التي حددت الخصائص اللسانية للجملة نجد تلك التي صاغها أصحاب معجم المعهد الامريكي والقائلة إن " الجملة هي تركيب لغوي لم يكن جزءا من أي تركيب أوسع منه ." (5) ومعنى هذا أن كون التركيب جملة ليست خاصة قارة وثابتة فيه بل هي حالة قد تتوفر في سياق وتنعدم في آخر ، مثل "يجري" فهذا مركب يمثل جملة في سياق مستقل ، إلا أنه ليس كذلك في سياق آخر كما في " جاء الولد يجري " . وإذا كان النفي في التحديد السابق فيه امتناع مطلق غير مقيد بسياق ، فإنه يدل على استحالة وجود تراكيب أخرى أكبر من الجملة . وهذا ما ركز عليه مارتيني في أبحاثه التركيبية ، إضافة إلى مبدأ الاستقلال التركيبي حيث استخلص مباديء لتراتبية الوحدات الدلالية الصالحة لكل اللغات ذات التمفصل المزدوج ..وسنقف في ما يلي على دراسة مكونات الجملة الاساسية مستفيدين في ذلك من الجوانب النظرية التي زودنا بها أصحاب هذا الاتجاه ، والكفيلة بمساعدتنا في تحديد العناصر التي تساهم في تشكيل الجملة أثناء عملية التواصل ولنبدأ بما يسمي بالملفوظ الادنى أو المركب الاسنادي .

3 - الملفوظ الادنى والمسند :

كان الانشغال بالمعنى على مستوى المنطق الشكلي الارسطى يجعل أرسطو يخلط أول الأمر بين اللغة والمنطق فتكلم في اللغة كلاما منطقيا ، وتكلم في المنطق كلاما لغويا ، فانعكس ذلك علي النحاة التقليديين فاختلط في ذهنهم النظر إلي المسند والمسند إليه بالنظر إلى الموضوع والمحمول ، وصار كل تحليل للجملة يقسمها منطقيا إلى الموضوع (thème) ، أي إلي هذا الذي يراد قول شيء عنه ، وإلى هذا الشيء نفسه أي المحمول (Propos) أو (rhème). فالموضوع (نقطة الابتداء / أساس الكلام) هو الجزء الاساس من بنية الجملة . فالجملة تبدأ بما هو معروف عند السامع . أما المحمول فهو الجزء من الجملة الذي يحمل معلومات جديدة (Informations) حول الموضوع أي التجربة التي تنقلها الجملة انطلاقا من مقام تواصلي معين .إن وجود عنصر إسمى ، سواء كان اسما أو ضميرا ضروري لتحيين كل مسند ، أقنع العالم حتى التحويليين - التوليديين المعاصرين ان هذه البنية أي

(محين - مسند) هي البنية الضرورية ، الظاهرة أو الضمنية ، لكل ملفوظ في كل لغة .أما جاسبرسن فما لبث أن تخلى عن هذا التقليد بكيفية لا شعورية حينما توقف أمام نواة (فاعل -مسند) الثابتة ، وتطرق بكيفية أكثر عقلانية للمشاكل الاساسية للتركيب ، فارجع جميع الظواهر باستثناء العطف إلى تتابع من الوحدات المستقلة المحددة بوحدات أخرى تقتضيها . وبذلك يكون جاسبرسن أول لساني تعلق ببيان تراتبية وحدات الخطاب من خلال العلاقة ذات الطبيعة الخاصة التي تربط الفاعل والنواة الاسنادية ، واقترح تسمية هذه النواة الثنائية الثابتة ب (nexus) . (6)

ونفس هذه الاطروحة قادت مارتيني إلى طرح ظاهرة عالمية وجود ملفوظ أدنى في جميع اللغات مكونا ، بالتاكيد وفي غالب الاحيان ، من فاعل ومسند . ويعتبر هذا المركب الاسنادي محور الدراسات التركيبية الوصفية ، فهو المكون النهائي الاصيل والثابت في كل جملة .

يعرف الملفوظ ذو البناء الادنى بكونه يحتوي على العناصر الضرورية فقط لبناء تركيبي قاعدي . وبعبارة أخرى يحدد الملفوظ الادنى بحضور العناصر اللازمة لتعيين علاقاتها المتبادلة . ويمكن أن نميز من هذه العناصر المسند (Prédicat) الذي بالقياس إليه تبدو باقي عناصر الملفوظ كتوسعات ثانوية .

ويسمى المسند مركز التنظيم التركيبي للجملة ، فهو يشكل قمة الهرم التراتبي في جملة تامة مستقلة ، وليس المسند مجرد نقطة ارتباط كل العناصر :" أي حوله تنتظم الجملة ." (7) ولكنه أيضا هو الذي " بالنسبة إليه تسم العناصر الاخرى وظائفها ". وهذه الخاصية الثانية للمسند تترجم فكرة جديدة وهي أن بعض علاقات التجربة تظهر على المستوى اللغوي في علاقات قائمة بين وحدات الملفوظ والمسند (8) ".

يحدد الملفوظ الادنى إذن في التركيب الوظيفي بحذف العناصر الثانوية (أي التوسعات) انطلاقا من " ملفوظ تام متلفظ به بين صمتين . والشرط الذي يجب أن يتوفر في هذا الملفوظ الأدنى هوكماليته التركيبية . وبهذا المعنى فإن كل العلاقات بين المونيمات المكونة للملفوظ يجب أن تسجل داخله ألا تكون محددة بالمقام أو السياق (9) . وضرورة حضور ملفوظ دون حاجة إلى عناصر تحينه خارج الملفوظ ذاته معيار يسمح بإبعاد ظواهر عديدة مرتبطة مباشرة بفعل الكلام . فالملفوظ " خرج " ملفوظ تام بنفسه ، وبذلك فهو يدخل في تقابل مع أجزاء لغوية أخرى مثل الجواب والاستفهام والتعجب ، الخ ، التي

تحتاج لخبر خارجي أو مقامي . والشرط الآخر الذي يجب أن يتوفر في الملفوظ ، باعتباره مركز التنظيم التركيبي ، هو أن يقبل التوسع بإضافة عناصر أخرى إليه . وكل جزء لا يستجيب لهذا الشرط لا يعتبر مسندا حتى ولو كان يشكل بذاته ملفوظا تاما .

4 - أنواع المركبات الاسنادية :

تقسم وتحصر الانواع المختلفة للمركبات الاسنادية في اللغة العربية كما يلي :

- مركبات إسنادية فعلية ؛
- مركبات إسنادية إسمية ؛
- مركبات إسنادية مشتقة .

ويشكل المسند الفعلي نسبة هامة في النظام اللغوي بالقياس إلى المسندات الاخرى كما أنه يكون جزءا رئيسيا في النظام ما دام أن :

- التوسعات الاساسية التي يعرفها تفوق تلك التي تعرفها المسندات غير الفعلية .
- كل التوسعات التي ترتبط بمسند غير فعلي تكون مثبتة في الجملة الفعلية والعكس ليس مثبتا .

إن الملفوظ الفعلي هو الذي يحكم إذن فهم مجموع تركيب الملفوظ ، فما هو الملفوظ الفعلي في العربية ؟ وما هي بنيته ؟ اقترحت المدرسة الوظيفية لتحديد مكونات المركب الاسنادي بعض المعايير . فبالنسبة لـ : Denise François و Fréderic François و Tche Khouff يكون " المسند في الملفوظ الادنى المونيم الذي بواسطته ترتبط العناصر الاخرى المتنوعة في الملفوظ بعضها ببعض " (10) إنه النواة المركزية (....) التي تتشبث بها عناصر تقوم بوظائف مختلفة مباشرة أو غير مباشرة ضرورية أو غير ضرورية لتكوين الملفوظ "(11) وهكذا فالمسند هو النواة المركزية لكل ملفوظ تام ، والعنصر القاعدي الذي تقوم العناصر الاخرى المكونة للملفوظ بوظائفها بالنسبة له . ونتيجة لذلك فهو محور الجملة والوحدة اللغوية التي لا غنى عنها لتكوين الجملة أو الملفوظ الادنى في كل اللغات .

ولكن هل تكفي هذه الوحدة لوحدها لتشكيل ملفوظ أدنى ؟ الا تحتاج لان تحين ببعض المحددات ، وبالخصوص الفاعل ؟ وإذا كان من

الممكن التسليم بوجود المسند في كل اللغات ، فإنه من المجازفة التسليم بوجود مركب فاعل - مسند في جميع اللغات عند تحديد هذا الاخير شكليا بانه يتألف من العناصر التي تبقى بعد حذف كل التوسعات ، ومن يقول مبدئيا إنه لا توجد لغة حيث يضاف بالضرورة للفاعل أو للمسند خصوصية زمنية أو مكانية ؟ وليس من الصواب الاعتقاد ، من جهة أخرى ، بأن النواة الثابتة تصلح في جميع اللغات دون استثناء ، فهناك لغات تتألف فيها الجملة العادية من وحدة دالة واحدة ، بل إن اللغات التي تعرف [مسند - فاعل] تعرف هي كذلك بعض الحالات الاستثنائية كصيغ الامر والعبارات المختصرة .

وحينما سنعرض هذه الظاهرة على اللغة العربية ، فسنسلم بأنها من ضمن اللغات التي يكون فيها الفاعل والمسند عنصرين مكونين للملفوظ على العموم . فكيف حددت المدرسة الوظيفية هذا العنصر الذي يضطلع بوظيفة " فاعل "، والذي يساهم في تكوين بنية الملفوظ الفعلي ؟.

5 - المركب الاسنادي والفاعل :

في محاولة لايجاد الخصائص الدائمة والثابتة للمونيم الفاعل ، وعلي مستوى اللسانيات العامة ، بحث الوظيفيون عما هو عالمي في خصائص المونيم الفاعل ، أي عن القاسم المشترك بين جميع فواعل اللغات الذي سيسمح باستخلاص المعيار الذي سيشمل جميع اللغات لتحديد الفاعل . ويمكن أن نحدد خصائص الفاعل في العربية في ما يلي :

- إنه هو العنصر الثاني الضروري للمركب الاسنادي الفعلي ؛
- إنه توسع للنواة الاسنادية ، ولكنه يختلف عن التوسعات الاخرى في كونه لا يمكن التخلي عنه ؛
- إنه المرافق الضروري للمسند الفعلي المتصرف .

وعليه فإن الضرورة التركيبية التي تعرفها العربية هي لزوم مصاحبة الفاعل للفعل دائما ، فالفاعل من هذا المنظور هو العنصر غير القابل للحذف (12) ولعل هذه الخاصية هي المعيار الوحيد الذي رأى الوظيفيون أنه صالح لكل اللغات . فعلى هذا القيد المشترك يقوم تعريف الفاعل كما اقترحه مارتيني ، حيث يقول : " يسمى فاعلا ذلك العنصر المحدد اللازم للفعل ". (13)

يعد الفاعل أحد الطرفين المكونين للجملة ، بل الطرف اللازم لبناء جميع الجمل باستثناء الاسمية منها . وهذه الضرورة هي التي تميز الفاعل عن المفعول الذي ليس من اللازم أن يوجد دائما . ويمكن أن نقول بأن الفاعل في العربية يلتصق بالمسند لان كلاهما يرتبط بالآخر بعلاقة تضمن متبادلة ، المسند الفاعل ، مادام أنه لا يمكن أن نجد من الملفوظ الادنى " صام " لا المسند الذي هو " الجذع الفعلي " ولا الفاعل الذي هو " المونيم الشخصي " .

والخاصية الاساسية للفاعل لاتمنحه ، حسب التحليل الوظيفي ، مساواة تراتبية مع الفعل . ولذلك يوجد الفاعل في موقع التبعية بالنسبة للمسند الفعلي . لكن مبدئيا إذا كان الفاعل في اللغة الفرنسية قابلا لان يقوم بوظائف أخرى مثل (Paul je le vois, Paul travaille , je me promène avec Paul) فإنه في اللغة العربية لا يقوم سوى بوظيفة واحدة . كما ان الفعل لا يمكن أن يكون سوى مسند ، وخلافا لما ذهب إليه مارتيني عندما أقر : بأن الفاعل لا يختلف عن المفعول الا لكونه جزءا من الملفوظ الادنى " ، (1) فان الفاعل في العربية ليس خاضعا للمسند لانه متخصص في الوظيفة التي يقوم بها داخل الجملة ، فهي أساسية وليست مجرد وظيفة ممكنة في بعض السياقات المقيدة .

وإذا كان أصحاب المدرسة الوظيفية يركزون على مسالة هي أن الفعل مسخر قصرا للقيام بالوظيفة الاسنادية ، فهذا لا يعني أن هذه الوظيفة تقوم بها دائما المونيمات الفعلية مادام أن اللغة العربية ، وعلى غرار لغات أخرى ، تعرف إضافة إلى المسندات الفعلية مسندات أخرى غير فعلية ، ولكن يجب أن نشير بأن الأفعال المتصرفة لوحدها هي التي تقوم بدور الوظيفة الاسنادية بانتظام . والدور التركيبي الذي يضطلع به الفاعل هو تحيين المسند الفعلي المتصرف . وبالتالي يمكن اعتبار الفاعل " محينا ضروريا ، أما التوسعات فإنها تنقل تحديدات زمانية ومكانية وتظل محينات إحتمالية " .

يكون الفعل في العربية مركبا إسناديا مستقلا ، مؤلفا من جذع فعلي لا يمكن أن يتحقق إلا شريطة أن ينضم إليه الضمير الشخصي . فالفعل باعتباره شكلا مركبا هو " العنصر الوحيد القابل لأن يكون لوحده ملفوظا تاما " ، كما يقول دا فيد كوهن (David Cohen) (15) ، فالأفعال " كتب " ، و " كتبت " تكفي لوحدها لتكوين مركبات إسنادية تهائية ، وتجمع المونيمين المكونين للمركب الاسنادي علاقة ارتباط متبادلة مطلقة ، فكل واحد منهما يفترض وجود الآخر ولا يمكن للضمير

(الذي ننزع إلى تحليله كفاعل) أن يظهر في محيط آخر ، فهو يقوم بوظيفة واحدة فقط . إنه مونيم نحوي خاص ولا يقوم مقامه وحدة معجمية اسمية ، وإستبداله بوحدات أخرى إجراء مستحيل في العربية .

وبالوقوف على البنية التركيبية للمركب الفعلي نلاحظ أن التمييز بين الفاعل والمسند لا يمكن أن يتم على أساس معيار " أحادية الوظيفة - تعدد الوظائف " ، مادام أن المكونين الاثنين (المونيم الفعلي والضمير الشخصي) أحاديي الوظيفة . ودراسة مجموع أنواع المركبات الاسنادية الفعلية تقود لاعتبار أن :

- المسند هو المونيم الفعلي الذي ينتمي لقائمة عريضة ؛
- المحين ، أي المونيم الشخصي الفاعل ، هو الذي ينتمي لقائمة جد ضيقة .

ومن المزايا التي يقدمها هذا التحليل نذكر :

- كونه يقصي كل لجوء إلى الاعتبارات الدلالية غير المقنعة نظرا لأنه يحلل الجملة تحليلا شكليا خالصا ؛
- تحيل هذه الطريقة في البحث إلى مفاهيم لسانية عالية ومحددة بكيفية جديدة ؛
- تطبق هذه المفاهيم أخيرا وبدون صعوبة على كل أنواع المركبات الاسنادية الفعلية ، ويمكن أن نقيم عليها نمذجة متلاحمة موحدة . وتمثل كل الملفوظات الدنيا تقريبا خاصية كونها تتركب من وحدتين منتميتين إلى قائمتين مختلفتين تماما .

وفي ما يخص المركب الإسنادي الفعلي في العربية فإن الإجراء المأخوذ به يفضي إلى :

- أن الجذع الفعلي عنصر من قائمة فعلية غير نهائية (كل أفعال اللغة العربية) في حين أن :
- أن مونيم الشخص عنصر من مجموعة نهائية ومحدودة .

6 - المونيم الشخصي :

تبعا للتحديد التركيبي للفاعل الذي يرى أنه هو المكون الوحيد الذي يدخل في علاقة تضمنية مع المسند فإن وظيفة الفاعل هذه تمنح في اللغة العربية للمونيم الشخصي الذي يرافق الأفعال "دخل" -"كتبوا" -

" نهضنا " ، الخ ، ويكون مكملا ضروريا لها ، ولكن السوال الذي يطرح هو : هل يتالف المركب الإسنادي من مونيمين فقط ، أي من المسند والمونيم الفاعل ؟ يعرف المركب الإسنادي في العربية مونيما آخر هو مونيم الجهة التامة أو غير التامة . والفرق بين داخلة الجهة وداخلة الشخص ،باعتبارهما عنصرين ضروريين للمركب الإسنادي ، يكمن في كون داخلة الجهة تحدد الفعل باعتباره وحدة " معجمية " . أما الداخلة الشخصية فإنها تحدد الفعل بالضرورة على اعتبار أنه مسند ، فهي داخلة فعلية خالصة ولا تستبدل بأي مونيم آخر .

وبعد وقوفنا على البنية التركيبية للمسند الفعلي ، يحسن بنا الآن أن نحدد التوسعات التي يعرفها هذا المركب في إطار اللغة العربية .

7 - توسعات المركب الإسنادي الفعلي :

تعرف اللسانيات الوظيفية التوسع (expansion) ، باعتباره مفهوما إجرائيا ، كل عنصر أضيف إلى المركز الاسنادي دون أن يغير شيئا في العلاقات المتبادلة بين عناصره الاصلية أو في وظائفها ، والتوسعات أنواع : فإذا انطلقنا من النواة " اذهب " نستطيع من خلال التوسع أن نحصل على " اذهب بسرعة " وذلك بإضافة وحدة دالة مستقلة ، وأن نحصل على " اذهب لاحضاره " ، وذلك بإضافة وحدة دالة معمولة " ه " ، وأن نحصل على " اذهب إلى الجارة " وذلك بإضافة تركيب مستقل ، وأن نحصل على " اذهب لاحضاره من عند الجارة " وذلك بإضافة ثلاثة عناصر دفعة واحدة . وهذا يعني أن بإمكاننا أن نعتبر كل شيء في القول توسعا للوحدة الاسنادية باستثناء العناصر التي لا غنى عنها لتعيين الوحدة الاسنادية كالمسند إليه . وبعبارة أخرى إن التوسع هو العناصر التي يستطيع المرء أن يدخلها باختياره على النواة المركزية ، ومن هنا يتجلى الدور الهام الذي يؤديه التوسع في بناء الخطاب اللغوي ، هذا التوسع الذي ينقسم إلى أنواع :

أ - توسع مرجعي أولي ؛
ب - توسع مباشر ؛
ج - توسع غير مباشر ؛

وهذه التوسعات الاسمية للمركب الإسنادي لا تعرف وضعا تركيبيا مماثلا ، كما لا يعرف الملفوظ سوى توسع واحد من بين هذه الأنواع

الثلاثة ، وبالمقابل يمكن أن يعرف الملفوظ توسعات مرجعية عديدة تقوم فيها الأولى بوظيفة أولية والتوسعات الأخرى بوظيفة غير أولية .

يمكن أن يعرف المركب الاسنادي الفعلي في العربية توسعا مرجعيا أوليا واحدا وتوسعا مباشرا واحدا أو توسعين مباشرين (حيث الواحد منهما دائما ضمير - اسمي) وتوسع أو توسعات غير مباشرة متعددة ولنعطي بعض الأمثلة . أحمد يصوم = توسع مرجعي أولي ، يصوم = مركب إسنادي فعلي . يركبون القطار: يركبون = مركب إسنادي فعلي ، القطار= توسع مباشر . أعطيناه الرسالة :اعطينا = مركب إسنادي فعلي ،الهاء = توسع مباشر، الرسالة = توسع مباشر ثاني .لعب في المقهى القمار ، لعب = مركب إسنادي فعلي ، المقهى= توسع غير مباشر ، القمار= توسع غير مباشر .

يكون التوسع المرجعي الأولي مطابقا في النوع للضمير الشخصي للمركب الاسنادي دائما وهكذا نجد :

خرج الولـــــد

كتـــــب الأولاد

دخلـــــت المرأة

ورغم تطابق واتباط التوسع المرجعي بالضمير الشخصي ، فإن الاول ليس ضروريا دائما في تكوين الملفوظ الأدنى الفعلي التام بدليل أننا نكتفي بالقول " نام " و " صام " و" سافر".. فهو ليس سوى محدد بسيط ولا يستعمله المتكلم إلا عندما يحس بالحاجة إلى التفسير أو إلى تدعيم الضمير الشخصي ، ويظهر التوسع الا حالي بالخصوص في المفرد المذكر الغائب أما المتكلم والمخاطب فهما عموما معرفان في إطار عملية التواصل . وإذا كان الضمير الشخصي غير قابل للتوسع وليس بينه وبين العناصر الاسمية التي تقوم بوظيفة توسع مرجعي أي اختيار استبدالي فإن التوسع المرجعي الأولي قابل للاستبدال والتوسع فنجد :

محمد ضرب أخوك

أخوك ضرب محمد

قرأ مع أخيك

هو غلب محمدا

أخوك الكبير اشترى ...

خلاصـــة :

ولتطوير الأسس العميقة لتحليل تركيبي عام ، ركز مارتيني على

السؤال الذي همشه بعض اللسانيين فيما رآه هو " مسألة جوهرية "وهو البنية والوظيفة الخاصة بالمسند في الجملة . فقد شاطر رأي سابقيه التقليديين في الحديث عن المسند لكنه تميز وانفرد عنهم بتحديده الجديد له . فعلى هذا الأساس التقليدي لمفهوم المسند ، الذي كان إلى حدوده عهده معرقلا ، باللجوء ، أثناء دراسته ، لاعتبارات منطقية ونفسية ولغوية ، حاول مارتيني بوجهات نظر جديدة حصر خصوصية الجملة لا سيما في كتابه التركيب العام ، وهكذا لاحظ جورج مونان (G. Mounin) من جانبه أن مارتيني هو اللساني الذي عرف كيف ينقح ويعدل كل النتائج المنهجية لتعريف الجملة عند (Meillet) الذي اعتبرها " كمجموعة تمفصل مرتبط في ما بينها ببعض العلاقات النحوية ، ولا ترتبط بأي مجموع آخر ، إنما تكفي لوحدها ".(16) وهو تعريف يمنح لبنية الجملة مكانة مركزية في التحليل ، في حدود كون الجملة تمثل عنده نقطة الانطلاق في البحث التركيبي ، وتعريف Meillet هذا يعتبر ، شكليا وبنيويا ، تعريفا موضوعيا وإجرائيا حسب جورج مونان .

ومن خلال المعطيات السابقة يمكن القول إن الجملة تتحدد في المنظور الوظيفي انطلاقا من الملفوظ الادنى (énoncé minimum) ومن توفر شرط الاستقلال . كما ارتكز الوظيفيون في تحديدهم لعناصر الجملة وللعلاقات القائمة بينها على مفهوم الاسناد وقرنوا وجود الملفوظ الأدنى بتوفر النواة الاسنادية .

الهوامش :

1) سيبويه ، الكتاب ، ج 1 ، ص . 23

2) انظر : المبرد ، المقتضب ، ج 1 ، ص 8

3) Lucien TESNIERE ; Eléments de syntaxe structrale. p. 11.

4) Otto JESPERSEN, La philosophie de la grammaire , p.439

5) André MARTINET, la Linguistique synchronique. p. 229

6) André MARTINET, Syntaxe générale . p. 239

7) André MARTINET, Eléments de linguistique générale. . p. 127

8) Régime Legrand, GELBER, Les unités significatives et leurs relations, in liguistique , sous la direction de Fréderic FRANCOIS, p.149

9) لايعني هذا أننا ننكر هذه الظواهر ولكن ما نعنيه هو أن دراستها الحقيقية

ستكون في المكان المناسب لها مع الأخذ بالاعتبار الشروط الحقيقية لانتاجها .

10) André MARTINET, Syntaxe générale . p. 145

11) Denise FRANCOIS, Syntaxe fonctionnelle. . p. 23

12) بجانب هذا التعريف الأخير هناك تحديدات متواترة أخرى للفاعل مثل : مطابقتـــه للفعل ، وغياب وظيفته عندما يبنى للمجهول ، ووضعه المقدم في الملفوظ ، إلا أن هذه الخصائص لاتصلح للعنصر الذي يرافق المسند بالضرورة ، ولكنها تصلح لما هو في أغلب الأحيان موضـــوع (thème) الخطاب .

13) André MARTINET, Eléments de linguistique générale . p. 31.

14) André MARTINET, Langue et fonction. p. 79.

15) David COHEN, " les formesdu prédicats en arabe et la théorie des anciens grammairiens ", in Mélanges. M. Cohen. p. 224 - 228

16) Georges MOUNIN, la linguistique du XXe Siècle . p. 159.

البيليوغرافيا

1) المراجع بالعربية :

- سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1988 .
- المبرد ، أبو العباس ، المقتضب ، تحقيق عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب بيروت ، 1963 .

2) المراجع بالأجنبية :

- COHEN, David , " les formes du prédicat en arabe et la théorie des anciens grammairiens", in Mélanges M. Cohen. Paris, p. 224 - 228.
- GREIMAS, A.J, Courtès, J. Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris Hachette , 1979 .
- JESPERSEN Otto La philosophie de la grammaire ,les édition de Minuit Paris, 1971.

- LEGRAND GELBER, Régine,"Les unités significatives et leurs relations" in linguistique. sous la direction de Frédiric FRANCOIS, Paris , PUF ,1980
- MARTINET, André , Langue et fonction. Denoel , Paris , 1967
Eléments de linguistique générale. Paris, Colin, 1970.
La linguistique synchronique SUP , Paris, 1974
Syntaxe générale . Armand Colin, Paris, 1985
- MOUNIN , Georges, la linguistique du XXe siècle , SUP, Paris, 1975
- TESNIERE, Lucien, Elément de syntaxe structurale. Paris Klincksieck 1982, 2 éd.